



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المرحلة الثانية

المادة : تاريخ أوروبا في عصر النهضة

النهضة الاوربية

م . م لقاء منذر قدوري

عندما ندرس التاريخ ، نجد التطور الإنساني يسير في تيارات فكرية تتغير معها نظرة الإنسان إلى الحياة وإدراكه لمفاهيمها وتصرفه إزاءها ، ومن الصعب أن نحدد تاريخاً محدداً لظهور هذه التغيرات الهامة في مجرى التاريخ ، أو الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، فكل عصر جذور تمتد في أعماق العصر الذي سبقه ، ولا بد من وجود فترة انتقال طويلة تتفاعل فيها المثل والمفاهيم القديمة والجديدة معاً حتى تستقر في أذهان الناس إرادة التغيير، ويبدأ بالتدرج عصر يختلف عما سبقه في كل نواحي الحياة. وقد يظهر هذا التطور في أمة قبل ظهوره في غيرها من الأمم، وأمة تسبق غيرها نحو التقدم والحياة الأفضل.

وقد حدث ذلك في فترة الانتقال في أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وهي الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها باسم عصر النهضة (Renaissance) بمعنى البعث الجديد أو بالمعنى الحرفي "الولادة الجديدة". وقد ظهرت حركة النهضة في بدايتها في إيطاليا ، وكان ذلك قبل منتصف القرن الرابع عشر. بينما لا نجد لها أثراً في غيرها إلا بعد ذلك بزمن ليس بالقصير، فإنك لترا مثلاً لم تظهر بها آثار النهضة إلا في الربع الأخير من القرن الخامس عشر، ونظراً لانتقال النهضة من إيطاليا إلى غيرها من الدول الأوروبية في ببطء شديد فقد طال عصر النهضة من أوائل القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر، بل إن أثرها لم يظهر في بعض الدول الأوروبية إلا في أوائل القرن السابع عشر. وقد اتخذت النهضة أشكالاً ومظاهر مختلفة باختلاف طبيعة البلاد التي ظهرت فيها ، فبينما ظهرت بمظهر الإصلاح الديني في بعض الدول الأوروبية كألمانيا وغيرها ، نجدها تتخذ شكلاً فنياً في إيطاليا. وقد ظهرت بوادر النهضة بظهور فكرة إحياء التراث القديم أو كما سماها المؤرخون حركة إحياء العلوم (Revival of learning).

١- حركة إحياء العلوم:

ظهرت تلك الحركة في القرنين الأخيرين من فترة الانتقال، أي من عام ١٣٠٠ إلى عام ١٥٠٠، حيث أخذ المثقفون في المدن يهتمون بالتقريب عن الآثار والمخلفات الأدبية اليونانية والرومانية القديمة، ويحاولون دراستها والاستفادة منها، ولكن حركة إحياء العلوم لم تكن هي النهضة ذاتها بل هي مظهر من مظاهرها وبداية طيبة لها.

وقد عُرف المشتغلون بهذه الدراسات باسم الإنسانيين (Humanists) لأنهم كانوا يهتمون بدراسة الإنسان نفسه، وهذا يعتبر شيئاً جديداً في التاريخ البشري، فقد تناست العصور الوسطى إنسانية الإنسان، واهتمت فقط بصفاء روحه وقربه من الله، ومن هنا تفشت أفكار النقشف والصوم وإذلال الجسد، وتجلى ذلك بأجل معانيه في ظهور الرهبنة. ولم يجد الفن له منطلقاً في تلك العصور لأن النظرة كانت للروح وليست للجسد، ولم يكن هناك داع لإظهار مفاتن الجسم أو الاهتمام بالإنسان في الأدب أو الفنون الجميلة كالرسم والنحت.

ولم يكن من الضروري أن تكون جماعة الإنسانيين من طبقة الجامعيين أو رجال الدين، بل كانت أغليبتهم الساحقة من عامة الشعب الذين اعتقدوا أن كتاب الإغريق والرومان ومفكرهم وفلاسفتهم لم يكونوا رجال دين، ولا من الخاصة، بل ينتمون إلى عامة الشعب.

ولم يكتف الإنسانيون في إيطاليا بالدراسة العميقة للإنتاج الفكري القديم، بل بدئوا يحاولون محاكاة أولئك الكتاب القدامى في طريقة وأسلوب الكتابة، وترفعوا عن الكتابة باللغة الإيطالية، إذ لم تكن اللغات القومية في نظر الإنسانيين صالحة للتعبير عن الأفكار الدقيقة أو العميقة. وقد سار على هذا النهج الكتاب الأولون لعصر النهضة أمثال دانتي (Dante) وبوكاشيو (Boccaccio).

وقد ظهرت حركة الإنسانيين أول ما ظهرت في إيطاليا، ومنها انتشرت في مدن أوروبا، وخاصة في المدن الفرنسية والألمانية والهولندية، وكان يغلب على الإنسانيين (وخاصة في إيطاليا) الاعتداد بالنفس، والثقة في الإنسان وعظمته وقدرته على التغيير وتحقيق مثله العليا. والرجل الإنساني في نظرهم يجب أن يكون فناناً، فصيحاً، فيلسوفاً، أخلاقياً، سياسياً، محباً للاطلاع، باحثاً عن الشهرة والإبداع في أدبه أو فنه. وكانوا يعبرون عن أفكارهم بلغة لاتينية أدبية، موجهين اهتماماً خاصاً لجمال الأسلوب وانتقاء الألفاظ.

وقد اعتمدت حركة إحياء العلوم على دراسة المخطوطات الإغريقية واللاتينية التي بحثوا عنها في الكنائس والأديرة في شبة الجزيرة الإيطالية وفي الولايات الألمانية

وغيرهما، واهتم حكماء الولايات الإيطالية بإيفاد باحثين يفتقرون عنها ويشترونها، بل وتنافسوا في سبيل الحصول على أكبر قدر ممكن من هذه المخطوطات.

ويعتبر بترارك (Petrarch) أول زعيم لتلك الحركة فقد كرس حياته في إيطاليا لدراسة الأدب. وقد ولد في فلورنسا وأمضى حياته الدراسية الأولى في توسكانيا، وقد أرسله والده فيما بعد إلى مونتيلين لدراسة القانون ولكنه لم يستغ تلك الدراسة وتحولت اهتماماته إلى دراسة الآداب القديمة. وشاعت عنه أفكار جديدة وجريئة ظهرت في كتاباته، حيث أوضح فيها اعتقاده بأن الإنسان يجب أن يهتم أولاً بحياته على وجه الأرض قبل أن يوجه اهتمامه إلى أشياء تختص بالحياة الآخرة. وانتقد الكنيسة بقوة وصراحة، وتمنى أن يبدأ الشعب الإيطالي بقيادة العالم نحو فلسفة جديدة، ولكن غاب عنه في حياته أن الشعب الإيطالي في ذلك الحين كان نهياً للانقسام والتنافس وأنه لا يستطيع أنذ أن يوجه جهوده لتحقيق آرائه الجديدة، ومهما يكن من شيء، فقد تأثرت النهضة الأدبية في إيطاليا بآرائه وكتاباته، وكانت قصائده موضع اهتمام الأديباء الإيطاليين، يشرحونها ويحلونها ويحاولون محاكاتها.

٢- النهضة الأدبية :

ازدهرت الآداب منذ بداية عصر النهضة، وكانت تركز على تقليد القدامى في كتابة القصائد الغنائية ورسائل الحب وتدبيح الملاحم والمآسي والمراثي والهجاء والاهتمام بجمال الأسلوب وانتقاء الألفاظ. ومع ما أدخله كتاب النهضة من تعابير مأخوذة عن اللاتينية والإغريقية إلا أنهم كانوا إلى جانب ذلك يبتكرون ويخلعون على إنتاجهم مسحة جديدة تميزت بها النهضة الأدبية. ولم يكن الأديباء الأقدمون بالنسبة لهم إلا نماذج للتعبير عن العواطف الشخصية، ولكنها كانت عواطف أديب القرن السادس عشر.

وتميزت هذه الآداب بأنها كثبت لثدخل السرور والإعجاب والتسلية على القارئ، ولم تهتم بتعليمه أو وعظه. ولاقى المسرح اهتماماً كبيراً من أديباء النهضة، حيث أخذت الملهاة والمأساة تقومان مقام المسرحيات الدينية التي كانت من سمات الأدب في العصور الوسطى، فكانت أكثر واقعية وأقوى التقاء بالعواطف الحقيقية للإنسان.

وهكذا أصبحت الآداب قومية يعبر بها الأديب عن شخصيته وشخصية شعبه. وقد سبق الأدباء الإيطاليون غيرهم من أدباء الشعوب الأخرى وتفوقوا عليهم في التعبير عن عاطفة الفن والبحث عن الجمال.

أما في فرنسا فقد كانت عناية الأدباء موجهة نحو الإبداع في النثر وتجلي ذلك في القصص، والمذكرات والتحليل الخلقى والنفسي. وفي إنجلترا ظهر المسرح المتنوع المليء بالمفاجآت والمغامرات، وتحليل الإنسان في خلقه وطباعه. وفي إسبانيا اهتم الأدباء بعواطف الفروسية وأبرزوا المثل العليا التي يتجلى بها الفارس.

المصادر المعتمدة بالمحاضرة

١. حسن صبحي، أوروبا من فتح القسطنطينية حتى قبيل الثورة الفرنسية، دار مكتبة الجامعات العربية، بيروت، ١٩٦٧.
٢. صالح حسن العكيلي، الوجه الآخر للنهضة الأوروبية، دار الوراق، عمان، ٢٠٠٦.
٣. عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٢٠.
٤. عبد المجيد ننعلي، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣-١٨٤٨، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣.
٥. ميلاد مقرحي، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨، جامعة بنغازي، بنغازي، ١٩٩٦.